مجلة المجمع العلمي العراقي

المجلد الرابع والعشرون

مطبعة المجمع العلمي العراقي

١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م

مجلة المجمع العلمي العراقي

المجلد الرابع والعشرون

مطبعة المجمع العلمي العراقي

١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م

لغات الجزيرة العربية :
العربية . أم اللغات السامية ؟

الدكتورة باكزة رفيق حلمي

اللغات السامية اصطلاح أتى به العالم الالماني Schlözer سنة ١٧٨١م ، عندما كان يقوم بابحاثه عن الشعوب القديمة ولغاتها للدلالة على ما بين لغات الشعوب التي ذكرت في التوراة – على أنها من نسل سام بن نوح عليه السلام – من قرابة لغوية (١) .

ولو امعنا النظر في اسماء هذه الشعوب ، لوجدنا ان التوراة ، قد ذكر أسماء شعوب ، اثبتت الدراسات اللغوية فيما بعد ان لغاتها لاتمت الى لغات شعوب الجزيرة العربية بصلة كالشعبين العيلامي والليدي . كما انه قد اغفل ذكر الشعب الكنعاني بين ابناء هذه السلالة ، ثم اثبتت كل الدراسات اللغوية والعرقية على انه ينتمي الى السلالة نفسها وان لغته تعد من اهم لغات شعوب الجزيرة العربية (٢) ،

---

(١) سفر التكوين . الاصحاح العاشر .

(٢) الدكتور اسرائيل ولفنسون تاريخ اللغات السامية ص ٢

مما يدل : على ان تسمية لغات شعوب الجزيرة العربية باللغات (السامية) كانت بعيدة عن الدقة والصواب ، وان من الافضل البحث عن تسمية تكون اكثر دلالة على حقيقة الصلة والقرابة بينها ، لاسيما بعد ان توسعت الدراسات المقارنة في « علم اللغة » بصورة عامة ،وفي قواعد هذه اللغات ، بصورة خاصة . وقد توصل العلماء منذ ذلك التاريخ حتى الان الى نتائج علمية دقيقة ، كشفت الكثير من الحقائق الهامة عن صلات القربى . بين هذه الشعوب ولغاتها بامكاننا الافادة منها لايجاد تسمية تدل دلالة واضحة ودقيقة على هذه القربى ، بينها .

ويبدو ان العالم شلوتزر كان متسرعاً بعض الشيْ حين اطلق هذا الاصطلاح على لغات شعوب الجزيرة العربية ، او على الاصح لهجاتها . فقد ثبت فيما بعد انها كانت كلها لهجات بدائية لقبائل صحراء الجزيرة العربية ، تربطها معاً وحدة لغوية الى جانب وحدة عرقية ، بحكم البيئة والنشأة ، تجعل منهم فروع اصل واحد (شعب) ومن لغاتهم لهجات (لغة) واحدة .

وقد كان البحث في لغات هذه القبائل ، لدراستها وتصنيفها بحاجة الى رمز او اصطلاح يرمز به اليها ، وكانت الدراسات اللغوية يوم اطلق شلوتزر اصطلاحه على هذه اللغات ماتزال اولية ولم تكن لغات الجزيرة العربية كلها ، ولاسيما الجنوبية قد اكتشفت بعد وان كانت النتائج الاولى التي توصل اليها علماء اللغة حتى ذلك اليوم تؤكد وجود صلات لغوية وثيقة وقديمة بين لغات او لهجات اقدم تلك القبائل والشعوب واحدتها ، وتجعلهم ينسبونها الى اصل واحد يكون من فروعها اسرة لغوية واحدة ، الا ان تحديدهم لتلك الصلات ودرجاتها وتاريخ كل لغة والتطورات التي مرت بها ، والعلاقات التي كانت تربط كل لغة باللغات المعاصرة او السابقة لها واللاحقة بها لم تكن معروفة تماماً . وكان لابد من اسم تعرف به هذه

الاسرة ويشار به اليها عند البحث ، وجاء اسم (سام بن نوح) مسعفاً ، فقد بدأت دراسة لغات شعوب الجزيرة العربية بالتوراة ولغته ، وعلماء اليهود هم اول من تنبهوا الى وجود صلات قربى بين اللغة العبرية ولغات الجزيرة الاخرى ، وايد المستشرقون وجلهم من اليهود هذا الرأي ودعموه ، واضفوا بذلك على لغة التوراة القدسية والعراقة ، وجعلوها اقدم لغات الجزيرة وامها . (١) فنسبوها جميعاً الى (سام) الذي انحدر منه اليهود العبرانيون .

وقد تعرضت هذه التسمية ، لكثير من الجدل والنقد والرفض فيما بعد ، ولكنها بقيت دون تغيير حتى الان ، ولم يكلف احد من علماء اللغة نفسه بتصحيحها ، ولست الوم المستشرقين في ذلك ، بقدر ما الوم علماء العرب انفسهم . فقد درس كثير من اساتذة العرب هذه اللغات وتعمقوا في قواعدها واصولها وتاريخ تطورهـــا وعلاقات كل منها بالاخرى ، وعرفوا تماماً سر هذا ــ الخطأ المقصود ، من ابقاء تسمية لغات الجزيرة العربية باللغات السامية ــ واهمال النظر في تصحيحه ، ولكنهم لم يفعلوا شيئاً حتى الان (٢).

وقد دلت الدراسات التي اجريت في قواعد جميع لغات الجزيرة العربية ، المندثرة والحية ، كالبابلية والاشورية والاكدية .والفينيقية والكنعانية والعربية والعبرية والارامية منذ اكثر من قرنين ، وفي لغات جنوب الجزيرة وغربها منذ مطلع هذا القرن كالاوغاريتية والمعينية والسبئية والحضرمية والقتبانية واللحيانية والثموديةوالصفوية على ان : هذه اللغات جميعاً بقديمها وحديثها ، وبشرقيها وغربيها وجنوبيها (٣)

(١) الدكتور اسرائيل ولفنسون تاريخ اللغات السامية ص ٣

(٢) الدكتور جواد علي تاريخ العرب قبل الاسلام ، ص ١١٦ .

(٣) قسم علماء اللغة هذه اللغات الى ثلاث مجاميع ١ــ الشرقية (البابلية والاشورية) ٢ ــ الغربية او الشمالية الغربية الكنعانية ــ والعبرية والارامية . ٣ــ الجنوبية الغربية او الجنوبية (العربية والحبشية) ولكني لا ارى صواب هذا التقسيم . وآثرت تقسيمها حسب مراحلها التاريخية ودرجات القرابة بينها .

كانت قد نشأت في بيئة جغرافية واحدة ونمت في ظروف مناخية وحياتية واحدة بل وفي موطن معين رجح العلماء انه جنوب الجزيرة نفسها (١) وقد اثبتت كل الدراسات التاريخية والبشرية واللغوية على ان الجزيرة العربية كانت موطناً لقبائل بدائية لاحصر لها ، تتصف جميعاً بخصائص عرقية متشابهة تجعل منها فروعاً لاصل واحد ومن لغاتها التي اثبتت الدراسات اللغوية المقارنة وجود صلات وثيقة وقديمة بين قواعدها واصولها لهجات لغة واحدة ، الامر الذي دفع العلماء الى تصنيفها في « اسرة لغوية واحدة » ، وجعل شلوترز يختار لها (السامية) علماً فتصبح منذ ذلك اليوم « الاسرة اللغوية السامية » او « اللغات السامية » في دراسات علماء اللغة وكتاباتهم .

الا ان لاكتشاف الدراسات الاخيرة التي قام بها علماء اللغة منذ مطلع هذا القرن في لغات جنوب الجزيرة العربية وغربها واكتشاف اللغة (الاوغاريتية) في رأس شمرة واكتشاف لغات الجنوب الاخرى في (اليمن) وفي مناطق اخرى من غرب وشمال الجزيرة كالمعينية والسبئية في الجنوب والثمودية والصفوية في الشمال ، والبحوث المقارنة التي اجراها هؤلاء العلماء في السنوات الخمسين الاخيرة في كتابات هذه اللغات وقواعدها اثبتت بالدليل القاطع على ان اللغة العربية لا العبرية هي اقدم هذه اللغات تاريخاً ، واكثرها احتفاظاً بكل الخصائص اللغوية القديمة التي فقدت معظمها لغات الجزيرة الاخرى في المرحلة التاريخية الثانية على اثر تطورها وتأثرها باللغات المجاورة الغريبة .

هذا الى جانب مرونة اللغة العربية وقابليتها العظيمة على التطور الدائم والنماء والاتساع المستمرين في اطار شخصيتها اللغوية الخاصة ، بفضل مافيها من قدرة فريدة على استنباط الاقيسة ومرونة عجيبة في الاشتقاق ، وطاقة لاحدود لها على

---

1 . Gesenius - Heb. Gram. P. 9.

استيعاب وهضم جميع ما يدخلها من طارئ وغريب من اللغات الاخرى واخضاعها لقواعدها دون ان يصيبها ذلك بفساد او ضعف .

ولم يكن ذلك الا بسبب استمرار بقائها التاريخي الطويل وعراقتها .

وقد اثبت التاريخ المدون ايضاً على ان الاسم الذي تحمله هذه اللغة اليوم والارض التي تعيش عليها ، كان علماً منذ اقدم العصور لقبائل البادية الغربية المتاخمة لحدود بلاد اشور ، اذ يذكر لنا نص اشوري يعود الى سنة ٨٥٤ ق.م في عهد الملك شلمناصر الثاني مشيخة للعرب (EREbi) كانت مصدر قلق دائم لهم على الحدود الغربية (١) ويسبق هذا التاريخ تدوين التوراة بفترة غير قصيرة ، فقد بدأ تدوين التوراة في اوائل القرن الثامن ق.م واستغرق انجازه ثلاثة قرون (٢) .

ويلي ذلك النص الاشوري نص بابلي ترد فيه عبارة (ماتو — اربي) و (ماتوا) تعني ارض اي ارض العرب ، وفي هذا ما يشير الى اقتران اسم الارض باسم سكانها منذ ذلك التاريخ . ثم ذكرت ارض العرب بعد ذلك في الكتابات العيلامية والبهلوية والمسمارية التي تعود الى منتصف القرن الخامس ق.م اي الى عهد الهاخامنشيين الفرس باسم (عربايه) و (اربايه) نقلا من المصادر الكلدانية المعاصرة لها فالكلمة في الكلدانية تعنى بلاد العرب . الامر الذي يدل على ان حدود بلاد العرب قد اتسعت في هذا التاريخ وانهم كانوا على اتصال بالفرس . واخيراً عرف اليونان الجزيرة العربية كلها بهذا الاسم ودرسوا احوالها ومناخها وشعوبها وقسموا ارضها الى اقسام جغرافية ثلاثة هي ١ — العربية السعيدة وهي ارض اليمن حتى الحجاز على الارجح . ٢— العربية الحجرية وهي ارض الانباط وكنعان . ٣— العربية الصحراوية ، وهي

1- L- king- Assyrian . Grammar. P. xxxv11

ويستعاض عن حرف (العين) في الاشورية بالهمزة التي كانت تقوم مقام عدة اصوات لم يعرف لها رموز في الكتابة المسمارية كالعين والغين والهاء والحاء والخاء .

2- Gesenius . heb. Gram. P. 9.

انها تكون في العراق (كافاً) فارسية وفي مصر (همزة) وفي الفصحى (قافاً) . ولو علمنا بان اللغات القديمة كانت لهجات محلية اي ان الكاتب يكتب كما يتحدث تماماً ولم تكن هناك لغة فصحى بالمعنى اللغوي المعروف اليوم لادركنا سر هذا الاختلاف في الشكل والمضمون بين لغات الجزيرة العربية ــ العربية

واهم ما يلفت النظر في الكتابة المسمارية المقطعية التي تطورت فيما بعد في (اللغات العربية ــ السامية) الى صوتية محضة في ابجدياتها المستقلة انها كانت بخلاف ماقرر العلماء تعنى عناية فائقة بحركة كل صوت . فلكل صوت صحيح فيها ثلاث رموز كل منها تدل على الحركة التي تلحقها وثلاث صور اخرى للحركة التـي تسبقها في اغلب الاحيان (١) . كما ان الاعراب المعروف منذ القديم واضح في هذه الكتابة فكل كلمـة فيها تنتهي بالحركة الاعرابية (الرمز) التي تناسب موضعها في الجملة ومعناها . وعلامات الاعراب هي (الواو) للضم و (الياء) للكسر و(الالف) للفتح كالعربية تماماً في حالة الابانة عن الاعراب بالحروف التـي كانت عليها قبل ايجاد الحركات القصيرة المعروفة الان . والاعراب ظاهرة مميزة للغات الجزيرة العربية في مرحلتها التاريخية الاولى وتشترك اللغة الاوغاريتية التي سيأتي ذكرها بعد حين مع العربية والاكدية في هذه الظاهرة الامر الذي يدعو الى اعتبارها من لغات المرحلة التاريخية الاولى . اما لغات المرحلة الثانية كالعبرية والارامية . فقد تخلصت تدريجاً من هذه الظاهرة حتى فقدتها تماماً في المرحلة الحديثة ، في حين احتفظت العربية الحديثة بها وحدها ..

وهناك ظاهرة لغوية اخرى اعتمدت في تحقيقها لغات الجزيرة العربية على الحركات اوحروف المد والحركة هي (الاشتقاق) ،عرفتها جميعاً في المرحلة التاريخية الاولى

1- L. king . Assy. Gram. Plix.

ثم تخلصت منها اكثرها في المرحلة الثانية واستعاضت عنها بأساليب اخرى في صياغة المفردات ونجد اثار هذه الظاهرة واضحة في اللغات ، البابلية ، والاشورية وكذلك الاوغاريتية والمعينية الجنوبية وكلها من لغات المرحلة الاولى التي اندثرت لتحل محلها لغات المرحلة الثانية ، كالعربية الشمالية واللهجات الكنعانية الثانية (العبرية والارامية) وبقايا الحبشية . فقد اخذت في التخلص من هذه الظاهرة حتى كادت تزول في مرحلتها الحديثة ، فيما عدا العربية ، التي احتفظت بها في المراحل كلها بل وتوسعت فيها في مرحلتها الحديثة توسعاً كبيراً اغناها دون غيرها غناء كبيراً حتى شملت الالفاظ المقتبسة والمعارة والمستحدثة فى ميادين العلم والمعرفة كافة وجعلتها من اكثر اللغات الحديثة قدرة على الاستيعاب السريع لكل مايجد من فكر وقول . نستدل على هذه الظاهرة بتعدد صيغ جموع التكسير في العربية الحديثة ووجودها بكثرة في العربية القديمة (المرحلة الاولى) والوسطى (المرحلة الثانية) (١) وقلتها في اللغات الاخرى المندثرة والحية فيما عدا (الاوغاريتية) . ثم اختفاؤها في العبرية والارامية . وبقاء بعض الصيغ في الحبشية التي تعد من بقايا المرحلة الاولى فقد انفصلت عن لغات الجزيرة العربية في الوقت الذي كانت فيه هذه اللغات في المرحلة الاولى من تاريخها .

ونجد اثار هذه الظاهرة ايضاً في تعدد صيغ الافعال المجردة والمزيدة واختلاف معانيها باختلاف حركاتها . واستمرار هذه الظاهرة في اللغة العربية في جميع مراحل تاريخها مع التطور والتوسع وليس بالتراجع والضمور . وضمورها بل وزوالها في اخواتها . . .

---

(١) قسمت لغات الجزيرة العربية حسب تطورها التاريخي وصلات القربى بينها وازدهارها على ثلاث مراحل تاريخية هي ١- الاولى او القديمة وشملت اللغات البابلية والاشورية والاوغاريتية والعربية الجنوبية (المعينية) ٢- الثانية او الوسطى وتشمل العربية الشمالية (الصفوية والثمودية والسبئية والكنعانية الثانية (العبرية والارامية) . ٣- الثالثة او الحديثة وتشمل العربية الحديثة والعبرية ، والارامية .

وقد تطورت الكتابة المسمارية المقطعية وانتهت على ايدي شعوب الجزيرة العربية انفسهم ، لتتحول الى مسمارية صوتية اولا ثم الى الابجديات المختلفة المعروفة اليوم ودخلت بذلك الكتابة في مرحلتها التاريخية الثانية لتدون بها لغات المرحلة الوسطى من (اللغات العربية) . فقد استنبط (الاوغاريت) وهم من شعوب الجزيرة العربية الشمالية الغربية ابجدية مسمارية صوتية في نحو القرن الخامس عشر ق.م كتبوا بها لغتهم الشبيهة جداً بالعربية الوسطى (الشمالية) . وقد خدم اكتشاف هذه اللغة وكتابتها الدراسات اللغوية خدمة جليلة فقد ادى الى معرفة الكثير من الحقائق العلمية التي تتعلق بلغات الجزيرة وتاريخها وصلات القربى بينها ، كانت مجهولة وغامضة حتى ذلك اليوم .

ولم تكتشف اللغة الاوغاريتية وكتابتها الا منذ اقل من نصف قرن ، ولكن هذا الاكتشاف ادى بالعلماء الى اعادة النظر في كل ماقاموا بها من دراسات عن الجزيرة العربية . فقد دلت هذه اللغه الى انها تمثل بكتابتها مرحلة من تاريخ تطور الكتابة من المسمارية المقطعية الى الابجدية : كانت مجهولة وتكون فجوة من الفراغ بين الكتابتين ، لابد من تركها ، حتى اكتشفت هذه الكتابة المسمارية الصوتية الاوغاريتية فملأتها . كما انها دلت على وجود صلة كبيرة بينها وبين لغات الجزيرة العربية الجنوبية (المعينية – السبئية) الامر الذي يشير الى انها تكون حلقة الوصل التي كانت مبهمة بين لغات الجزيرة الجنوبية وبين لغاتها الشمالية . كما سنرى عند اجراء بعض المقارنات الصوتية والنحوية . وقد اكتشفت منذ الربع الاول من هذا القرن حتى الان مجموعة كبيرة من الالواح مكتوبة بالخط المسماري الاوغاريتي وبهذه اللغة تربو على المئات وكانت اهمها جميعاً هي التي وجدها العالم M. Claude Schaeffer سنة ١٩٤٩ والتي وجد عليها الابجدية المسمارية بكاملها مدونة بخط جلي وواضح . (١) وعند قراءتها تبين انها تتألف من ثلاثين

---

(١) الدكتور جواد علي . تاريخ العرب قبل الاسلام جـ١ ص ٢٠٦ .

رمزاً صوتياً . لكل صوت صحيح في اللغة رمز مستقل واحد لا ترافقه حركة كما كان الامر في المسمارية المقطعية (١) فيما عدا صوت الهمزة الذي بقي كما كان في المسمارية المقطعية بثلاث صور مع حركة تلحقهاهي الفتحة والضمة والكسرة.

وقد دلت دراسة هذه اللغة وابجديتها على انها تشترك مع العربية القديمة والحديثة في امور كثيرة اهمها .

ان الابجدية تحتوي على الاصوات الصحيحة المعروفة اليوم في اللغة العربية بما في ذلك حرفي الضاد والظاء اللذين تفتقر اليهما معظم لغات الجزيرة العربية .

وان اصوات الحركة واللين هي الالف والواو والياء وتقوم مقام الحروف الصحيحة والعلة الطويلة معاً كما هو الحال في العربية تماماً . يضاف اليها الرموز الحركية التي تلحق صوت الهمزة الصحيح ويكون بذلك عدد رموز الحركة في هذه الابجدية ستة .

وهي الابجدية الوحيدة التي تطابق اصواتها الصحيحة صوتاً وعدداً الابجدية العربية . اما الابجديات الاخرى للغات الجزيرة العربية فتتألف كلها من اثنين وعشرين منها فقط وتختلف من حيث اللفظ والنطق عن الاصوات العربية كثيراً . وتكتب هذه الابجدية كالأكدية من اليسار الى اليمين . (٢)

اما من حيث قواعد اللغة . فالظاهرة البارزة فيها الاعراب بالحروف كالعربية في المرحلتين الاولى والثانية اي قبل اضافة الحركات الى الابجدية . وقد اختفت هذه الظاهرة في لغات المرحلة الثانية (العبرية والارامية)حتى كادت تزول تماما . مما يدل على ان الاوغاريتية اقدم تاريخاً واقوى صلة بالعربية . والظاهرة الثانية هو تقسيم الاسم الى مفرد وجمع وتثنية كالعربية تماماً وعلامات الجمع والتثنية كعلامات

1- DR. C. gordon. Ugaritic Gram. P. 3.

2- DR. C. gordon . Ugaritic Gram . p. 5

ارض البادية الفاصلة بين العراق والشام (١) .

وجاء ذكر العرب في التوراة ايضاً بمعنى الاعراب اولا في سفر اشعيا (٢) « ولا يخيم هناك اعرابي » . ثم صار علما للعرب في سفر ارميا (٣) « وكل ملوك العرب » واصبحت كلمة (العرب) الدالة على البداوة والتنقل في الصحراء في جميع « اللغات العربية » (EREbi) في الاكدية و (العرب) في العربية و (عبريم) في العبرية و (اربايا) في الارامية علماً للعرب . ثم سمي موطن هؤلاء العرب ببلاد العرب التي كانت اولا تقتصر على البادية التي تفصل بين العراق والشام ثم اصبحت تشمل كل شبه جزيرة العرب بحدودها الجغرافية الان (٤) اي المهد والموطن الاول لجميع الشعوب التي سميت لغاتها باللغات السامية . واصبح لذلك من الافضل تصحيح ما تعمد اغفاله العلماء والمستشرقون من خطأ ، وتسمية لغات شعوب الجزيرة العربية بلغات الجزيرة العربية ، كما هو متبع لدى علماء اللغة في تسمية الاسر اللغوية بالاسم الذي يدل على مواطنها الاولى هو الاسم الذي تحمله عادة اقدم لغاتها واهمها . للدلالة على مدى علاقة كل منها بهذه اللغة وبالارض التي تحمل اسمها . وجميع الدراسات المقارنة التي اجريت في نصف القرن الذي مر ، في قواعد لغات الجزيرة القديمة والحديثة ، تؤكد كما قلنا ان اللغة العربية هي اقدم هذه اللغات واكثرها احتفاظاً بالقواعد والاسس اللغوية التي تمثل كل المراحل التاريخية التي مرت بها واوضحها تاريخاً . كما ان جميع هذه الدراسات تؤكد ان لغات الجزيرة كلها كانت قبل نموها وتطورها لهجات قبائل بدائية ، انتقلت من الموطن المشترك الاول لها مع

(١) الدكتور جواد علي تاريخ العرب قبل الاسلام ج ١ ص ١١٨ .

(٢) سفرا شعيا الاصحاح ١٣ الاية ٢٠ .

(٣) سفر ارميا الاصحاح ٢٥ الاية ٢٤ .

4- Encyclopaedia Britanica. Arabia v. 2. 1960

القبائل الجنوبية التي تميزت فيما بعد باسم العرب في الجنوب ، وعبرت الصحراء الى اطراف الجزيرة لتستقر حول احواض الانهار في فترات متعاقبة من تاريخها وتكون الحضارات التي عرفت باسمائها . ولتدون تاريخها وتراثها الفكري بلهجاتها التي جاءت بها من ذلك الموطن ، ولتترك لنا الدليل اللغوي والتاريخي الذي يؤكد صلاتها بذلك الموطن وارتباطها الوثيق بلهجاتها القديمة التي شاركتها فيه ، اي لهجات جنوب الجزيرة العربية ــ العربيــة .

وقد ثبت ايضاً ان اللغات الاكدية والاوغاريتية والمعينية اكثرها اتصافاً بالخصائص الاولى للاسرة اللغوية التي تسمى اللغات (السامية) والتي دلت الدراسات المقارنة الاخيرة على ان (العربية) اليوم هي اكثر لغات هذه الاسرة الحية احتفاظاً بتلك الخصائص بالرغم من تطورها الواسع في مرحلتها التاريخية الحديثة ، الامر الذي يدعو بالضرورة الي اطلاق اسمها على الاسرة للدلالة على تلك الحقائق .

وتاريخ لغة ما ، والعلم بها ، يبدأ من اقدم مدوناتها ، وليس لدينا قبل التدوين مايحدد بدء تكون لغة او نشوئها ، واقدم ما وصلنا حتى الان من مدونات لغـــة من هذه الاسرة ، التي سنطلق عليها منذ الان (اسرة لغات الجزيرة العربية ــ العربية) ، هي المخطوطات المسمارية البابلية والاشورية المدونة بلهجات بابـل واشور والتي ارتأى العلماء تسميتها (باللغة الاكدية) وتحدد هذه المخطوطات تاريخ اقدم لهجات هذه الاسرة العريقة بالالف الثالث قبل الميلاد ، وهو تاريخ سبق تاريخ جميع لغات العالم في التدوين . ومن المؤكد ان وجود هذه اللغات قـد سبق التدوين بها بزمن طويل ، كما انه ليس بمستبعد ان تكون اللهجات البابلية والاشورية قد حلت بارض بابل واشور قبل تاريخ التدوين بها بقرون .

وكانت واسطة التدوين الاولى هو الخط المسماري الذي استنبطه السومريون

الشرقيون (١) والذي لايبعد ان يكون مرحلة تطور من الكتابة الصورية التي عرفتها الحضارة البشرية قبله .

وكان الخط المسماري في مرحلته الاولى رمزياً محضاً يمثل فيه كل رمز صورة او معنى من المعاني . ثم تطور في العهد البابلي الثاني والاشوري الى (رمزي – مقطعي) اي اصبح الرمز يمثل فيه بدل الكلمة الصوت الاول منها مع الحركة المرافقة له اي حرفاً (صحيحاً – ولينا) بالمعنى الاصطلاحي المعروف الان في قواعد اللغات (٢) .

وتتألف الكتابة المسمارية المقطعية من ثمانية عشر رمزاً مقطعياً ، تكتب من اليسار الى اليمين . ويمثل فيها كل رمز صوتاً صحيحاً مع حركة ترافقه ولكل صوت الحركات الثلاث ، الضم ، الفتح والكسر .

ولكن هذه الكتابة تفتقر الى الكثير من الرموز لاصوات شائعة في جميع اللغات (العربية – السامية) اغفلت معظمها وضع رموز لها في ابجدياتها المتطورة من هذه الكتابة ، فيما عدا اللغتين الاوغاريتية والعربية اللتين اختص كل صوت فيهما برمز مستقل في الابجدية . ولا تفتقر هذه الكتابة الى الحركات كما قد قرر علماء اللغة فالحركات ممثلة برموز خاصة تسبق او تلحق الحروف الصحيحة كما هو الحال الآن في كتابة اللغات الاوربية .

وقد استعاض البابليون والاشوريون عند الكتابة بلغاتهم عن رموز الاصوات الصحيحة التي تفتقر اليها الكتابة المسمارية برموز اصوات مشابهة لها . فاستعاضوا عن حروف الحلق المتوفرة في لغات الجزيرة العربية كالهاء والحاء والعين والغين بالهمزة.

---

(١) اقصد بالشرقيين الجهة الشرقية لبلاد بابل واشور ، فلم يثبت بعد السلالة التي ينتمي اليها السومريون حتى الان واسميهم بالشرقيين لذلك تمييزاً لهم عن البابليين والاشوريين الذي قدموا من الجزيرة العربية اي من غرب بلاد بابل واشور .

2- L. King - first steps in Assy. P. xxv.

وعن الضاد والظاء والذال من حروف الاسنان بالزاي والصاد وعن الثاء بالشين او التاء في المفردات التي تتشابه فيها اللغتان العربية قديماً وحديثاً والاكدية بل تتطابق فيما عدا هذا التغير في الاصوات التي ذكرناها والتي تؤكد الدراسات المقارنة انها كانت للضرورة الشكلية فقط بالنظر لافتقار اللغة السومرية التي استعار منها البابليون الكتابة الى هذه الاصوات . (١) على النحو التالي .

العربية	الاكدية	العربية	الاكدية	العربية	الاكدية
حمار	امرو	لهب	لابو	نسر	نشرو
حم	امو	زرع	زرؤ	ثلاث	شلاشو
عنب	انبو	اذن	ازنو	ثور	شورو
قمح	قمو	ارض	ارصو	ظل	صلو
عين	اينو	اسم	شمو		
هيكل	ايكلو	سماء	شمو		

وجميع الكلمات التي مر ذكرها مشتركة في اللغات (العربية – السامية) كلها . ولكن الاصوات التي اشرنا اليها تتغير في كل منها حسب تطوراتها الصوتية التي تختلف في كل منها عن الاخرى باختلاف البيئة اللغوية والسعة الصوتية والزمان الذي رصدت فيه الكلمة . وسواء كان هذا التغير قد حصل لاسباب شكلية في بادئ الامر بسبب قصور في الرموز الكتابية ثم اصبح لغوياً حقيقياً او كان حقيقياً ومميزا للهجات المختلفة للغة الواحدة ، فهو امر طبيعي وشائع في جميع اللغات الحية والميتة (٢) ولو تتبعنا تغير صوت القاف مثلاً في اللهجات العربية الحديثة لرأينا

1- L. King . Assyr . Gram. P. xxix

(٢) الدكتور اينو ليتمان ، بقايا اللهجات العربية في الادب العربي مجلة كلية الاداب بجامعة القاهرة المجلد العاشر ، الجزء الاول سنة ١٩٤٨ .

او حروف العلة التي تصبح صحيحة ايضاً عندما تكون جزء ثابتاً من بناء الكلمة فلا تحذف ولا يتغير البناء . اما رموز العلة القصيرة او الحركات فانها مفقودة فيها ايضاً كسائر الكتابات التي سبقتها اذ ان الاعجام والتحريك يعدان من مميزات المرحلة التاريخية الثالثة او الحديثة لتطور الكتابة ، لم تكن هذه الابجدية قد ادركتها بعد . كما ان الحروف تكتب بها منفصلة ولم يصبح الوصل بين الحروف شائعاً الا في المرحلة الثالثة كذلك وقد استعاضت المعينية كالاكدية والاوغاريتية عن رموز اصوات الحركة الطويلة والقصيرة بحروف العلة التي مر ذكرها ، عند الاعراب والابانة عن حركة الصوت الصحيح (١) .

وقد دلت الدراسات التي اجريت حتى الان في قواعد لغات الجزيرة الجنوبية على انها تمثل اقدم صور اللغة العربية الحديثة . كما انها دلت ايضاً على ان المعينية التي تعد من اقدم تلك اللغات هي ايضاً اكثرها صلة باقدم لغة عرفت في التاريخ من اسرة (لغات الجزيرة العربية — العربية) وهي البابلية الاولى . فقد كانت معاصرة لها او اقدم منها على الاغلب ، اذ ان اللغة البابلية التي تعد باجماع اراء علمـــاء اللغة احدى اهم لغات هذه الاسرة واقدمها ، انتقلت من موطنها الاول في جنوب الجزيرة قبل بدء التدوين وحملت معها بلا شك تلك الصفات اللغوية التي رأيناها تشترك فيها مع المعينية العربية ، بل وتنفرد معها بكثير من تلك الصفات دون سائر لغات الاسرة الاخرى، الامر الذي يدل على انهما كانتا في مرحلة واحدة من التطور حين افتراقهما . وقد اندثرت البابلية قبل نهاية هذه المرحلة لتحل محلها لغات اخرى من الاسرة نفسها . اما المعينية فقد استمرت مع لهجات الجنوب الاخرى حية متطورة الى جانب لهجات العربية الشمالية لتدخلا مرحلة جديدة من التاريخ

بلهجات عربية الجاهلية الاولى ثم لتتبلور من بينها لغة متكاملة فصحى هي لغة التنزيل ، واخيراً لتستقر في هذه اللغة العربية الفصحى الحديثة العامة وفي هذه اللهجات المحلية التي لاحصر لها والتي تعود كل منها الى احدى تلك اللغات القديمة التي اندثرت اسماؤها وبقيت حية في لغات اليوم باسماء جديدة .

وليس بامكاننا الان وفي هذا الاستعراض السريع لتاريخ لغات الجزيرة العربية — العربية ، التطرق الى تفاصيل علاقة كل لغة او لهجة حديثة باللغة القديمة التي تنحدر منها . فذلك امر يتطلب دراسة خاصة تقتصر عليها سننجزها في بحث مستقل . ونكتفي الان ببعض المقارنات العامة بين لغات الجزيرة الحية والمندثرة ، نرفق جداولها بنهاية البحث .

وتبدأ المرحلة التاريخية الثالثة والاخيرة للغات (الجزيرة العربية — العربية) بتطور اللهجات الكنعانية في المنطقة الشمالية للجزيرة واستقرارها في فلسطين وسوريا وشمال بلاد مابين النهرين تطوراً ادى الى تبلور لغتين من اهم لغات هذه الاسرة ، هما العبرية والارامية . وقد ادى زوال الحكم البابلي والاشوري الى اضعاف اللغة الاكدية ، فحلت الارامية والعبرية محلها واصبحتا لغة الثقافة والفكر للحضارة الانسانية منذ القرن الخامس ق.م حتى ظهور الاسلام (١) كما اصبحت اللغة العربية التي تبلورت من اللهجات العربية الجنوبية والشمالية ، لغة الفكر والادب والشعر في العصر الجاهلي ثم لغة التنزيل والحضارة الاسلامية منذ ظهور الاسلام حتى اليوم ليس فقط في الجزيرة العربية بل في اطرافها التي امتدت شرقاً الى الصين وغرباً الى الاندلس مع انتشار الاسلام . . والفكر والثقافة الاسلامية .

وقد رافق هذا التطور تطور جديد في الكتابة . فقد نشأت الابجدية الكنعانية

(١) الدكتور اسرائيل ولفنسون تاريخ اللغات السامية الطبعة الاولى مصر. ١٩٢٩ . ص١٦٦ .

الفينيقية من المسمارية الاكدية مباشرة(١) واهم خصائصها انها تخلصت من المقطعية اي الرمز الثنائي المؤلف من رمز الصوت الصحيح ورمز صوت المد او الحركة التي ترافقه عند النطق واقتصرت على الرمز المنفرد للصوت الصحيح ، كما اعتبرت — كالاكدية — اصوات (أ،و،ي) اصواتاً صحيحة تستخدم للدلالة على المد عند الحاجة . واستطاعت بذلك ان تحقق بها الاغراض النحوية من اعراب وتصريف واشتقاق عند الحاجة .

وتفتقر الابجدية الكنعانية — التي تطورت كما قلنا الى ابجديتين مستقلتين هما :— القلم العبري والقلم الارامي القديمين — الى الكثير من رموز الاصوات الصحيحة الموجودة في اللغة العربية الحديثة التي تعتبر من اهم المميزات الصوتية (للغات الجزيرة العربية— العربية) كالاصوات الحلقية واللسانية الاسنانية . وسبب ذلك ان هذه الابجدية مشتقة من الكتابة المسمارية الرمزية السومرية ، واللغة السومرية كانت تفتقر في اصلها الى تلك الاصوات فلم ترصدها ولم تكن بحاجة الى رموزها .

ولما تبنت اللغة الأكدية هذه الكتابة اضطرت الى الاستعانة برموز الاصوات المشابهة في المخرج لتلك الاصوات عند الحاجة (٢) كما فعلت عند كتابة الكلمات التي تشتمل على اصوات الحاء بالهاء والعين بالهمزة و (الذال) بالزاي الخ . . . وهكذا فعلت اللغتان العبرية والارامية حين تبنتا الابجدية الكنعانية فلم تضيفا اليها اول الامر شيئاً ثم اخذتا بالتمييز بالاعجام بين الرموز المتشابهة للاصوات المتشابهة

---

(١) يبدو ان الابجدية الفنيقية قد تطورت في عزلة عن الابجدية المسمارية الاوغاريتية ، فالابجدية الاوغاريتية تشبه الابجدية العربية صوتاً وتماثلها عدداً كما تدل الدراسات اللغوية . في حين ان الابجدية الفينيقية تشبه الاكدية صوتاً وتماثلها عدداً . عدد حروف الابجدية الفينيقية والاكدية (٢٢) امـــا الاوغاريتية فهي (٣١) باضافة صوتين صحيحين الىالابجدية العربية فقط هما (ڤ) و (پ) انظر.
Dr. Cyrus Gordon. Roma 1947. P. 77.

(٢) الدكتور اسرائيل ولفنسون تاريخ اللغات السامية ص ٧٨ .

كما هو الحال في العربية حالياً اذ يميز بين الـ (ع) و (غ) بالنقطة وبين الـ (ح) وال(ج) وال (خ) وبين الـ (س) وال (ش) والـ (ت) و (ث) وهكذا في جميع اللغات السامية الان (١) .

ولا يعلم تماماً متى بدأت اللهجتان الكنعانيتان تتحولان الى لغتين مستقلتين لكل منهما خصائص وصفات نحوية تميزها وتنفرد بها وحدها لتفصلها عن الاخرى من جهة وتحدد موقعها ومرحلة تطورها بين اسرة لغات الجزيرة العربية ــ العربيــة من جهة اخرى . ولكن الذي يثبته العلماء هو ان اقدم نص مدون بلغة مميزة يحمل صفات اللغة التي عرفت فيما بعد بالعبرية هو النقش المعروف باسم (ميشع) الذي يعود تاريخه الى القرن التاسع ق.م (٢) . اما اقدم النصوص الارامية فتعود الى القرن الثامن ق.م (٣) .

واذا اعتبرنا النقوش التي نسبها العلماء الى اللغة الكنعانية ، لغة عبرية ، وهي كذلك ، اصبحت بذلك اقدم نصوص الكنعانية هي اقدم لغة عبرية مدونة ايضاً ويعود تاريخ ذلك الى ماقبل تدوين اسفار العهد القديم بقليل اي الى نحو الالــف الاول ق.م . ويثبت هذا الرأي ان اللغة العبرية التي عرفت بهذا الاسم منذ تاريخ تدوين العهد القديم ، كانت تسمى قبل ذلك بلغة اليهود او لغة كنعان (٤) ومعنى ذلك ان اللغة الكنعانية يمكن ان تعد مع العبرية التي نشأت منها كالاوغاريتية من لغات المرحلة التاريخية الثانية للغات الجزيرة العربية ــ العربية . فقد تطورت مــن

---

(١) الدكتور تيودور نولدكه اللغات السامية ص ٣٠-٣٢ .

2 . E. Kautzch . Gesenius Hebrew Grammar.

الترجمة الانكليزية A.E. Cowly جدول الالفباء في اول الكتاب .

3 . Dr. Theodore H. Robinson, Syriac Grammar. London 1949 P. 2.

3 . Dillmann . Ethiopic Gram. 1857. P. 8.

الجمع والتثنية في العربية سوى ان النون تستبدل فيها بالميم والاعراب ظاهر في جميع الاحوال . وهي بهذا ايضاً تعد اقرب اللغات العربية الى العربية الحديثة فالتثنية تكاد تكون معدومة في لغات المرحلة الثانية وعلامات الجمع هي (الميم) فقط بغير اعراب في العبرية ، وهي النون في الارامية وقد سقطت في اللهجات الحديثة (١) منها .

وقواعد الاشتقاق والتصريف تكاد تكون كالعربية تماماً (٢) ومن تطور الخط الاوغاريتي المسماري تكونت الابجديات التي عرفت في التاريخ بالكنعانية او الفينيقية التي دونت بها لغات المرحلة التاريخية الثانية من (لغات الجزيرة العربية — العربية) (٣) .

وعاصرت اللغات البابلية والاشورية في الشرق والاوغاريتية في الشمال الغربي (رأس شمرا) ، لغات اخرى في الجنوب (اليمن) والغرب (نجد والحجاز) لاتقل عن تلك اهمية او تطوراً . ولكن المؤسف ان العلماء لم يعثروا حتى الأن على نماذج مدونه منها تمثل المرحلة الاولى من تاريخ التدوين بالخط المسماري الرمزي او المقطعي يمكننا ارجاعها الى التاريخ الاول لبدء التدوين بلغات الجزيرة اي الالف الثالث ق.م . ويبدو ان الكتابة بدأت في الجنوب بشكل يختلف عن المسمارية فلم يعثر حتى الان على كتابة مسمارية في جنوب الجزيرة بالرغم من ان هذه الكتابة كانت قد انتشرت في جميع انحاء العالم المتمدن انذاك واقتبستها كل الاقوام كالميديين والميتانيين والفرس والحوريين وغيرهم اما الابجدية التي عثر عليها العلماء في اليمن والتي كتبت بها اللغات المعينية والسبئية والصفوية والثمودية فانها تمثل المرحلة

1- Gesenius Heb. Gram. P. 9.

2- Claude Shaeffer. The Cuniform texts of Ras - Shamra Ugarit. London 1949.

(٣) الدكتور اسرائيل ولفنسون تاريخ اللغات السامية ١٩٢٩ مصر . ص ٦٩ .

الثانية للكتابة اي الصوتية ، وتكاد تعتبر تطوراً مباشراً من حيث الشكل للكتابة الصورية القريبة من الهيروغليفية المصرية (١) .

والحقيقة ان لهجات او لغات غرب الجزيرة العربية وجنوبها بقيت مجهولة لدى الباحثين والعلماء ولم يكشف النقاب عنها الا في اواخر القرن الماضي حيث عثر المستشرق الفرنسي (هاليفي) فيما بين سنتي (١٨٦٩-١٨٧١ م) . على (٦٦٥) نقشاً مكتوباً بخط لم يعرفة العلماء من قبل سمي (بالمسند) ؛ وتمكن من حل رموزها ونشرها . وتبعه علماء اخرون (٢) عثروا على الكثير من تلك النقوش وترجموها بعد حلها الى لغاتهم وبدأوا بدراسة قواعدها . فوضع المستشرق إينوليتمان دراسة موجزة عن قواعد اللغات الصفوية والثمودية وهي من لغات غرب وشمال غرب الجزيرة (٣) .

ثم وضع الاستاذ اغناطيوس غويدي سنة ١٩٣٠ كتاباً مختصراً في قواعد لغات الجزيرة العربية الجنوبية (٤) بالعربية . وفي سنة ١٩٤٠ اعاد إينوليتمان نشر بحوثه ودراساته مفصلاً (٥) واخيراً قامت تلميذته ماريا هوفنر بدراسة قواعد لغات الجزيرة الجنوبية دراسة مفصلة ووضعت كتابها « قواعد اللغة العربية الجنوبية » سنة ١٩٤٣م وتم بذلك معرفة العلماء بقواعد جميع لغات الجزيرة العربية الحية والمندثرة . . كما اصبح لدى العلماء تاريخ كامل للغة العربية بمراحلها الثلاث منذ اقدم عهد لهذه الاسرة اللغوية حتى الان بغير انقطاع او ثغرة . وصار بالامكان الافادةمنها لاجراء

1- Maria Hofner. Altsud Arabische Gram . 1943. P. 5.

2- Enno Litmann. Safaitic Inscripton 1904.

(٣) نحو العالم كلازر سنة ١٩٠٨ وهومل ١٨٩٣ وروسي ١٩٣١ واخيراً محمد توفيق من كلية الاداب بجامعة القاهرة والدكتور خليل يحيى نامي من الكلية نفسها .

(٤) اغناطيوس غويدي المختصر في علم قواعد اللغة العربية القديمة ١٩٣٠ مصر .

5- Maria Hofner . Altsud Arabische Gram. 1943.

البحوث المقارنة التي تتطلبها الدراسات اللغوية الحديثة ، لتتثبت علمياً من صلات القربى بين لغات هذه الاسرة التي تؤكد الدلائل اللغوية الى انها كلها تكاد تكون لهجات « لغة واحدة » ، تفرعت منها في فترات مختلفة من التاريخ فروع اولهجات انتشرت من الوطن الام الى اطراف الجزيرة لتكون بدورها لغات مستقلة انفردت كل منها باسم خاص عرفت به . . وخصائص لغوية جديدة ميزتها عن اخواتها عبر الزمن.

واول مايلفت نظر الباحث في النقوش والكتابات المعينية والسبئية التي وجدت في جنوب الجزيرة هي انها مكتوبة « بابجدية صوتية » خاصة تختلف عن الابجدية « الكنعانية الفينيقية » التي عرفت في الشمال . (١) سميت بالخط بالمسند ــ واقدم اللهجات التي عثر حتى الان على نقوشها بهذا الخط هي اللهجة المعينية التي يرى العالم كلازر انها تعود الى الالف الثاني ق.م اي انها كانت تعاصر الاوغاريتية الشمالية الغربية التي مر ذكرها . ولا يبعد هذا الرأي عن الصواب كما تشير الدراسات اللغوية المقارنة الى انهما تعودان الى مرحلة تاريخية في التطور تكاد تكون واحدة بل قد تكون المعينية اقدم من الاوغاريتية استناداً الى بعض الدلائل اللغوية التي نرى ان المعينية تشترك فيها مع الاكدية بينما تفتقر اليها الاوغاريتية ، كـ (تمييم) التنكير او الحاق الميم بالنكرة من الاسماء و (تنوين) التعريف او الحاق النون بها للتعريف (٢) وضمير المفرد والمثنى والجمع للمؤنث الذي يكون (بالشين) بدل الهاء في هاتين اللغتين فهو للمفرد (شي ــ هي) وللجمع (شين ــ شون ــ هن) اما المثنى فمفقود في الاكدية وهو (شمان ــ هما) في المعينية (٣) .

وتتألف الابجدية المعينية من (٢٩) تسعة وعشرين حرفاً ، ثمانية وعشرون منها هي

---

(١) اغناطيوس غويدي المختصر في علم قواعد اللغة العربية الجنوبية ١٩٣٠ مصر. ص ١ ــ ٢

(٢) اغناطيوس غويدي المختصر في علم قواعد اللغة العربية الجنوبية ١٩٣٠ مصر. ص ٢ ــ ٥

3. Maria Hofner Altsud Arabische Gram. 1943. P. 6-7

حروف الابجدية العربية نفسها شكلا ومخرجاً، وحرف واحد مبهم الصوت بين السين والصاد ليس له الان صورة في العربية الحديثة . وقد تخلصت ابجدية معين من المقطعية تماماً حتى في صوت الهمزة التي نجدها في الاوغاريتية بثلاث صور مختلفة باختلاف الحركة او اللين .وتكون بذلك ابجدية معين اول ابجدية انتقلت بالكتابة من المرحلة المقطعية الى المرحلة الصوتية لا الكنعانية الفينيقية (١) كما هو معروف حتى الان فان اقدم نقش كنعاني هو نقش (كلمو) الذي يعود الى القرن التاسع ق.م (٢) اما اقدم النصوص المعينية فتعود الى القرن الخامس عشر ق.م (٣) .

وتتألف اللهجات التي وجدت كتاباتها بابجدية معين او الخط المسند كما سماه العلماء من مجموعتين من اللهجات اقدمهما هي لهجات (معين) و (سبأ) و (قتبان) و (حضرموت) الجنوبية ويعود تاريخها الى الالف الثاني ق.م واحدثهما هي لهجات (ثمود) و (صفا) و (لحيان) الشمالية الغربية ويعود تاريخها الى الالف الاول ق.م وقد عاصرت اولاهما الاوغاريتية وعاصرت الثانية العبرية والارامية وهناك فروق لغوية بارزة تميز بين المجموعتين وتحدد الفواصل التاريخية بينهما (٤).

والابجدية المعينية صوتية كما قلنا فقد تخلصت من المقطعية التي كان الصوت الصحيح فيها لايرسم الا مع رمز الحركة التي تسبقه اوتلحقه الى الرمز الواحد يمثل الصوت الصحيح فقط ، اما حروف اللين او الحركة التي كانت تتعدد صورها في المقطعية يتعدد الحروف الصحيحة فقد اختصرت فيها الى ثلاثة فقط هي (أ.و.ي)

---

1 . Ensy. Brit. Vol. 20 Sem. Lang. P. 318

(٢) الدكتور اسرائيل ولفنسون . تاريخ اللغات السامية سنة ١٩٢٩ م مصر. ص ٦٠ .

3. Maria Hofner - Altsud Arab. Gram P. 1-2.

(٤) سنقوم ببحث مفصل لدراسة تاريخ اللغة العربية بجميع مراحلها مستندين على التطورات اللغوية التي حصلت في كتابتها وقواعدها واصولها منذ اقدم اثر مدون لها حتى الان .

اللهجات العامية الكنعانية الى لغة تدوين مستقلة في زمن معاصر لوجود اللغة الاوغاريتية كلغة مدونة ، ثم سميت باللغة العبرية نسبة الى الشعب العبراني الذي ذكر بهذا الاسم تمييزاً له عن غيره من الشعوب (١) وقد بقيت اللغة العبرية حية بكتابتها وادبها المستقلين في حين اندثرت اللغة الاوغاريتية وانصهرت في لغات شمال وشمال غربي الجزيرة العربية ولم يبق لها ذكر كلغة مستقلة والمرجح انها كانت لغة جنوبية للتشابه الكبير بينها وبين المعينية والبابلية .

وتتألف الابجدية الكنعانية القديمة وكذلك العبرية والارامية اللتان تفرعتا منها من اثنين وعشرين حرفاً صحيحاً فقط ، هي عدد حروف الاصوات الصحيحة في معظم لغات الجزيرة العربية – العربية قديماً وحديثاً فيما عدا العربية الجنوبية التي كانت تتألف من تسعة وعشرين حرفاً والاوغاريتية من ثلاثين حرفاً في المرحلة الثانية . والعربية الحديثة اليوم في المرحلة الاخيرة التي تتألف من ثمانية وعشرين حرفاً الا انها تزيد على لغات المرحلة الاولى اي البابلية والاشورية باربعة احرف صحيحة هي الهاء والواو والياء والعين . (٢)

وتتميز هذه الابجدية بانها تخلصت من المقطعية الاكدية ، وهي بهذا تفتقر الى ما يمثل اصوات الحركة . فاستعانت باحرف المد التي اضافتها الى الابجدية لاداء اصوات الحركة عند الحاجة . ويميل شكل الحروف الى ما يشبه المربع الذي يدل على اصله المسماري . وسمي لذلك بالاسترانجيلي ، وهو يشبه ايضاً الخط العربي القديم المسند بزواياه الحادة . ولكنه تحول فيما بعد الى الاستدارة والميل الى الالتصاق كما حدث في الارامية . اما العبرية فقد بقيت الحروف محافظة على شكل المربع

---

2. King. first steps in Assy. P. XXXII.

(٣) الدكتور م.س . سيل . القواعد العبرية ص ٧ .

القديم ، ولم تتغير كثيراً كما انها بقيت تكتب منفصلة . وقد فقدت اللغتان العبرية والارامية الكثير من الخصائص المميزة للغات الجزيرة العربية ـ العربية الاولى ـ اهمها التحريك والاعراب بتخلصها من رموز الحركة التي كانت ترافق الكتابة المقطعية الأكدية وتحافظ بذلك الى حد كبير على نطق الكلمة نطقاً صحيحاً ، لذلك اضطر الى ايجاد ما يقوم مقامها في تحريك الكلمة اما الاعراب فقد زال بفعل الزمن وتحول اللهجات الكلامية الى لغات كتابة وتدوين .

وبايجاد الحركات دخلت كتابة لغات الجزيرة العربية ـ العربية، مرحلة جديدة من التطور هي المرحلة الصوتية التي ينطق بها الحرف الصحيح بمساعدة حركة او مد تحدد انطلاقة وتتغير القيم الصوتية وفق تلك الحركات حيث يصبح لكل حرف صحيح عدة صور للنطق وفق الحركات التي ترافقها بدلا من صورة واحدة ثابتة . واتخذ العبرانيون والاراميون ، النقطة والخط المشابه للفتحة وسيلة لتمثيل تلك الحركات توضع فوق الحرف او تحته او الى جانبه منفردة او مزدوجة او مثلثة او مائلة حسب الحركة التي رمزت بها اليها . واصبح بذلك من السهل قراءة نصوص الكتب المقدسة التي تعذرت قراءتها بسبب تعاقب الاجيال عليها واختلاف لهجاتها عن اللهجات الحية التي كانت شائعة بين الناس (١) . ثم تحول الاراميون الغربيون عن هذا النظام الحركي لدى اتصالهم باليونان واتخذوا من الابجدية اليونانية المشتقة اصلاً من (الفنيقية الكنعانية) رموزاً للتحريك تستعمل بدل النقطة والخط وانقسمت بذلك الابجدية الارامية الى قسمين، الشرقي الذي بقي على التحريك القديم، والغربي الذي اتخذ الابجدية اليونانية رموزاً للتحريك (٢) وتتألف الحركات في اللغة العبرية من مجموعتين :ـ

---

1 . Gesenius - Heb. Gram. P. 11.
2 . Th. H. Robinson. Syyriac Gram. P. 9.

١ــ كبرى : وعددها خمس : فتحتان . طويلة ممدودة ، واخرى طويلة ممالة . ثم كسرة طويلة ، فضمتان احداهما واسعة مفتوحة والاخرى عميقة ممدودة .

٢ــ صغرى ، وعددها ست : فتحة قصيرة ، وكسرة مثلها ، ثم كسرة قصيرة ممالة ، فضمة قصيرة مفتوحة واخرى قصيره عميقة وهناك حركة صغيرة تسمى (الشڤا) ترسم بنقطتين احداهما فوق الاخرى توضع على الحرف عند الابتداء اهملتها معظم اللغات لقلة وضوحها .

وكل هذه الحركات او الرموز ترسم فوق الحرف الابجدي او تحته او على احد جنبيه (١) .

اما ا لارامية ، فقد كانت تستخدم الاشارات او الرموز العبرية نفسها في اول عهدها بالتحريك وقبل ان تتطور فيها الكتابة من (السترانجيلي) الذي تشترك فيه مع العبرية ، الى القلم الارامي المستقل . ثم اخذت في استخدام الاحرف اليونانية ، تضعها موضع الحركات السابقة فوق الحرف الابجدي او تحته او الى جانبه ولكن بصورة مصغرة وافقية . وباختلاف الحركات ، والميل الى الاستدارة والصاق الحروف ببعضها اختلف القلم الارامي الحديث عن القديم (الاسترانجيلي) واصبح للارامية قلمان شرقي قديم وغربي حديث .

وعدد الحركات في الارامية ست : ثلاث قصار وثلاث طوال . هي الفتحة والضمة والكسرة . وتختلف الارامية عن العبرية في كثرة عدد الحركات المركبة (٢) اذ تبلغ السبع (٣) .

---

(١) الدكتور م.س . سيل . القواعد العبرية مع مراعاة لغة التوراة .
بيروت ١٩٧١ ص ٩٠٨ .

3. FR. Gabrial of st. Joseph. Syro - Chaldic Gram. 1961. P. 13.

(٢) ويبدو ان هذا التركيب الحركي نتج عن تأثر الارامية بلغات الشعوب الايرانية التي انتشرت هذه اللغة بينها .

وفي الوقت الـذي كانت فيـه اللهجات (الكنعانيـة) تتبلور في الشمال لتكون اللغتين المعروفتين (العبرية) و (الارامية) . لتنتهي بهما المرحلة التاريخية الثانيـة من التطور في الكتابة واللغة كانت اللهجات (العربية) في الجنوب والغرب تتمازج وتندمج لتبدأ بدورها المرحلة التاريخية الثالثة والحديثة من التطور لهذه الاسرة اللغوية فتتبلور منها (اللغة العربية) المعروفة اليوم وتصبح (العربية علماً لها منذ بدء الاسلام بنص من التنزيل الكريم (وهذا لسان عربي مبين) فتعرف منذ ذلك اليوم بلهجاتها كافـة ، بعـد ان كانت طوال المرحلتين الاولى والثانيـة من تاريـخ هـذه اللغات تعرف باسماء تختلف باختلاف الاماكن والازمان حسب لهجاتها (١) .

وفي بدء هذه المرحلة ، وقبل ان تندمج لهجات العربية ، وتضيع منها بعـض صفات مراحلها الاولى والثانية بالتطور ، انتقلت احدى لهجاتها مع العرب اليمانيين الى الحبشة ، وعرفت هناك ، باللغة الجفرية او الحبشية (٢) .

وعلى الرغم من ابعاد الزمان والمكان واختلاف البيئة اللغوية بقيت اللغة الحبشية محتفظة بالخصائص الاولى التي اخذتها معها والتي اندثرت معظمها في لغات الجزيرة الاخرى لتدلنا على قدم تلك اللغة وصلتها باقدم لغات الجزيرة وهي (البابلية- الاشورية) والمعينية (٣) .

---

(١) القرآن الكريم . سورة النمل الآية (١٠٣) .

(٢) الاستاذ يوهان فلك ترجمة عبد الحليم نجار . العربية - دراسات في اللغة واللهجات والاساليب ١٩٥١ القاهرة ص (ت) المقدمة و (١)

3 . Dillmann . Ethiopic gram. 1857. P. 3

(٤) قسم علماء اللغة الاسرة اللغوية العربية الى ثلاث مجموعات ١- شرقيه وهي (الاكدية) أو البابلية الاولى والاشورية . ٢- شمالية وهي (الكنعانية) او العبرية والارامية ٣- جنوبية وهي (العربية) الجنوبية والشمالية والحبشية . ولكني نأيت عن هـذا التقسيم كما شرحت لعدم تطابقة مـع واقـع الصلات ومراحل التطور للغات هذه الاسرة . ووجدت من الاصوب تقسيمها حسب مراحلها التاريخيه وتطورها الى ١- المرحلة الاولى وفيها (الاكدية - شرقية) و (الاوغاريتية -شمالية) و (المعينية - جنوبية) ٢- المرحلة الثانية وفيها (الكنعانية-شمالية عبرية-وارامية) و (العربية جنوبية عربية-الصفوية والثمودية *

وعرفت اللغة العربية المدونة حتى بدء هذه المرحلة باسماء مختلفة وفي لهجات واماكن متعددة من انحاء الجزيرة الجنوبية والغربية والوسطى ، ولكن بصفات ومميزات لغوية موحدة جعلت منها فيما بعد هذه اللغة الغنية الثرة والتي وجدنا بها تلك المجموعة النفيسة من الادب الجاهلي . ثم هذه اللغة المختارة التي شرفها الله فنزل بها القرآن الكريم « بلسان عربي مبين » (١) . فقد بدأت اللهجات العربية ، القادمة من الجنوب في آخر هجراتها قبل الاسلام تستقر بين اخواتها اللهجات العربية في الشمال لتتكون من اندماجها لهجات حديثة اكثر تطوراً ثم لتتبلور قبيل الاسلام بقليل ليختار من بينها اكثرها فصاحة لغة للتنزيل . ولو تتبعنا الاقلام التي كتبت بها الاثار الثمودية والصفوية واللحيانية لوجدناها مشتقة من المسند العربي القديم (٢) ، ثم تطورت هذه الاقلام اثر التقائها بالاقلام الكنعانية كالعبرية والارامية والفينيقية في الشمال . الى اقلام جديدة منها النبطية والتدمرية وهما الخطان اللذان كتب بهما العرب قبل الاسلام بنحو ثلاثة قرون على الاقل ، وظن العلماء انهما اراميان خالصان ولكن ثبت من مقارنتهما بالخطوط الارامية القديمة والمسند القديم ، انهما خطان

جنوبية) . . . وتندثر في هذه المرحلة اللهجات الشرقية (الأكدية) لتتحول الى لهجات محلية ضيقة متخلفة او تندمج بلغات هذه المرحلة المزدهرة كالعبرية والارامية . ٣- المرحلة الثالثة وفيها تبرز المجموعة الجنوبية لهذه اللغات في العربية وتبدأ لغات المرحلة الثانية العبرية والارامية بالانكماش والتخلف وتصبح العربية وحدها اهم واوسع واجمع لجميع صفات لغات الجزيرة العربية الحية والميتة حتى اليوم . وتبقى لغات المرحلة الثانية لغات محلية او كنائسية اما لغات المرحلة الاولى فتتحول الى بقايا مفردات او اثار نحوية مبهمة في جميع لغات الجزيرة حسب مواقعها ودرجات القربى بينها وبين تلك اللغات .

(١) المعجم الفهرس لالفاظ القرآن الكريم محمد فؤاد عبد الباقي مادة (عربي) السور . الشعراء اية ١٩٤ «بلسان عربي مبين » النمل الاية ١٠٣ « هذا لسان عربي مبين » . يوسف الاية ٢ « انا انزلناه قرآنا عربياً لعلكم تعقلون » . الزمر الاية ٢٨ « قرآناً عربياً غير ذي عوج لعلهم يتقون » . طه الاية ١١٣ وكذلك انزلناه قرآناً عربياً لقوم يعلمون » الخ . . .

2 . Enno Littmann.

مشتقان من الخطوط الكنعانية التي اشتقت منها الارامية نفسها والعربية ، المسند الذي اشتقت منه الخطوط العربية الشمالية كالثمودية والصفوية واللحيانية . ثم تطور هذان الخطان النبطي والتدمري بعد تأثرهما بالاقلام العربية التي مر ذكرها الى الخطوط العربية المعروفة اليوم والتي نشأ منها الخط العربي الذي سمي اولاً بـ (الجزم) وهو الخط الذي كان معروفاً عند العرب منذ بدء ظهور الاسلام ودون به القرآن الكريم (١) ثم تطور هذا الخط من حيث الشكل وتكون منه خطان هما (النسخ) الذي يميل الى الاستدارة و (الكوفي) الذي يميل الى التربيع كالعبرية ، كما انه اخذ يميل بنوعيه الى الصاق الحروف ببعضها ، وقد حدث شئ من هذا التطور في الارامي القديم نفسه ، اما العبرية فبقي على شكل التربيع المنفصل كالقديم (٢) .

وبهذا الخط المتطور من القلمين النبطي والمسند الحديث وجدنا اقدم مدون للعربية الحديثة من حيث اللغة والكتابة . فقد كتب العرب الانباط والتدمريون بهذا الخط منذ القرن الرابع الميلادي (٣) او قبله بقليل ، ولكن اهم تلك الكتابات واكثرها شبهاً بالعربية الاسلامية من حيث اللغة والقواعد والكتابة هي كتابة النقشين اللذين يعودان الى اوائل القرن السادس الميلادي . واولهما النقش المعروف بنقش (زيد) الذي وجد مكتوباً بثلاث لغات هي العربية واليونانية والسريانية ، قرب مدينة حلب ويعود الىسنة ٥١٢م . اما الاخر فهو النقش المعروف بـ (حران) وقد وجد مكتوباً باللغتين العربية واليونانية قرب مدينة دمشق ويعود تاريخه الى سنة ٥٣٨م . ونقش (حران) هو اقرب نقش عربي جاهلي وجد حتى الان الى العربية الاسلامية

(١) الدكتور جواد علي تاريخ العرب قبل الاسلام جـ١ ص ١٨٦ .

2- Gessenius.

(٣) اثرت تمييز المسند المعيني الذي نشأ في اليمن والذي يعود تاريخه الى نحو الالف الثاني ق.م عن المسند الصفوي الذي انتقل من اليمن الى الحجاز في نحو الالف الاول ق.م بتسمية الاول بالمسند القديم والثاني بالحديث فقد تطور الا خير واختلف عن اصله القديم .

(٤) الدكتور سيد حنفي حسنين . الشعر الجاهلي القاهره ١٩٧١ . ص ١٦-١٧ .

او العربية الحديثة . وبهذا الخط وجد اقدم اثر للعربية الاسلامية وهو النقش الذي وجد في مصر مكتوباً على حجر لعله جزء من شاهد قبر لرجل اسمه (عبد الله بن جبر الحجازي) والكتابة بغير اعجام لذلك اختلف العلماء في قراءة (الياء) و (الحاء) في كلمة (جبر) و (الزاي) في (حجازي) فمنهم من قرأ جبر — خبر و (الحجازي (حجرى) (١) وتعود هذه الكتابة الى سنة احدى وثلاثين هـ كما هو مدون على الشاهد . وهذا اقدم اثر اسلامي منقوش عثر عليه حتى الان (٢)

ومن الدراسة المقارنة للخطوط واللهجات العربية الجنوبية والشمالية ثم الدراسة التاريخية لتطور اللغة العربية في تاريخها الطويل الممتد من الالف الثالث ق.م حتى الان نرى ان اللغة العربية الحديثة وكتابتها ماهي الا الخلاصة الخالصة ، بلغتها وقواعدها وخطوطها لتلك اللهجات القديمة ونتاج تبلورها . .

كما ان لغات الجزيرة العربية الاخرى التي عرفت في مراحل تاريخية مختلفة وباسماء مستقلة في اماكن متعددة ، ابتداء من الالف الثالث ق.م حتى الان ، ماهي الا لهجات عربية انفصلت عن اخواتها في جنوب الجزيرة العربية واستقرت بعيدة عنها لتكون لغات تنفرد كل منها بخصائص جديدة بفعل التطور والتغير اللذين فرضتهما عليها البيئات الجديدة واوضاعها . والتاريخ يؤكد هجرة اقوام الجزيرة العربية من موطنها في اليمن الى انحاء الجزيرة وما جاورها ، والدراسة اللغوية تدعم ماذكرنا من انتماء لجميع تلك اللغات الى اللغة المتخيلة التي انبثقت منها كل لهجات الجزيرة العربية التي تحولت فيما بعد الى لغات مستقلة . وكل الدلائل التاريخية والجغرافية واللغوية تشير الى ان موطن اللغة العربية الاول (جنوب الجزيرة) هو الموطن المشترك وان اللغة العربية وحدها هي التي تملك كل الصفات القديمه التي كانت للغة شعوب ذلك الموطن والتي يحق لها ان تكون تلك اللغة المتخيلة

---

(١) الدكتور اسرائيل . تاريخ اللغات السامية ص ٢٠٢ .

(٢) « « ص ٢٠٤ .

كما انها هي وحدها التي بقيت ابتداء منذ اول تدوين بهذه اللغات حتى الان محتفظه باقدم الخصائص لتلك اللغة مع التطور المستمر حتى اصبحت الان اوسع تلك اللغات جميعاً واكثرها نماء وانتشاراً (١) .

والجداول التي نرفقها بهذا البحث شيء يسير من الدراسات المقارنة التي تدعم مـا ذهبنا اليه من رأي ، ارجو ان يحفز الباحثين في لغات الجزيرة العربية الى اجـراء المزيد منها للتثبت من صحة هذا الرأي الذي اراه جديراً بالاهتمام وقد يغير الكثير من اراء العلماء في اصل هذه اللغات والعلاقات المتينة التي تربط بينها .

ابجدية لغات الجزيرة العربية ــ العربية

من ٢٥٠٠ ق.م حتى الآن

اللغة العربية الحديثة من ٥٠٠م	الاكديـة البابلية والاشورية ٢٥٠٠—١٠٠ ق.م	الاوغاريتية ١٥٠٠ ق.م	المعينية (العربية القديمة) ١٥٠٠ ق.م	الكنعانية ١٥٠٠ ق.م	العبرية ٩٠٠ ق.م	الارامية ٨٠٠ق.م
١ ــ أ	أ	أ	أ	أ	أ	أ
٢ ــ ب	ب	ب	ب	ب	ب	ب
٣ ــ ج	ج	ج	ج	ج	ج	ج
٤ ــ د	د	د	د	د	د	د/ذ
٥ ــ ذ	ــ	ذ	ذ	ــ	ــ	ــ
٦ ــ ه	ــ	ه	ه	ه	ه	ه
٧ ــ و	ــ	و	و	و	و	و
٨ ــ ز	ز	ز	ز	ز	ز	ز
٩ ــ ح	ح	ح	ح	ح	ح/خ	ح/خ

(١) لن نتحدث هنا عن تطورات اللغة العربية ولهجاتها في المرحلة الحديثة اذ ان ذلك يتطلب بحثاً مستقلا سنفرده له فيما بعـد .

١٠–	خ	—	خ	خ	—	—	—
١١–	ط	ط	ط	ط	ط	ط	ط
١٢–	ظ	—	ظ	ظ	—	—	—
١٣–	ي	—	ي	ي	ي	ي	ي
١٤–	ك	ك	ك	ك	ك	ك	ك
١٥–	ل	ل	ل	ل	ل	ل	ل
١٦–	م	م	م	م	م	م	م
١٧–	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن
١٨–	ع	—	ع	ع	ع	ع	ع
١٩–	غ	—	غ	غ	—	—	—
٢٠–	ف	ف/پ	ف	ف	ف	ف/پ	ف
٢١–	—	—	پ	—	—	—	پ
٢٢–	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص
٢٣–	ض	—	ض	ض	—	—	—
٢٤–	ق	ق	ق	ق	ق	ق	ق
٢٥–	ر	ر	ر	ر	ر	ر	ر
٢٦–	ش	ش	ش	ش	ش	ش	ش
٢٧–	س	س	س	س	—	—	—
٢٨–	ت	ت	ت	ت	ت	ت	ت/ث
٢٩–	ث		ث	ث	—	—	—
٣٠–			ژ؟	س؟	س؟	س؟	س؟

ويتبين من الجدول السابق .

١ـعدد حروف اللغة الاوغاريتية يزيد على عددها في اللغة العربية بحرفين همـــا

(پ) (P) و (ژ– tz)

٢ــ ان اللغة الاكدية ليس فيها (حروف) لاصوات العلة وانها كانت تستخدم رموزاً خاصة للدلالة على الحركة قبل وبعد الحرف الصحيح .

٣ــ ان عدد حروف اللغة المعينية (العربية الجنوبية) (٢٩) وانها تزيد على العربية بحرف واحد فقط هو (tz) الذي وجدناه في الاوغاريتية وقد تحول هذا الصوت الى السامخ في العبرية والارامية .

٤ــ ان صوت « الضاد » خاص باللغة العربية بل هو العلامة الفارقة لاصوات اللغة العربية وقد وجد هذا الصوت في اللغة الاوغاريتية مما يدعم رأيي في ان اللغةالاوغاريتية اقرب جميع لغات الجزيرة العربية الى العربية الجنوبية القديمة .

علامات الجمع والتثنية في لغات الجزيرة العربية ــ العربية

العربية	الاكدية	الاوغاريتية	العربية المعينية القديمة	العبرية	الارامية
جمع المذكر	جمع المذكر	جمع المذكر	جمع المذكر	جمع المذكر	جمع المذكر
ــ ونَ	ــ نو	ــ وما	ــ ون	ــ يم	ــ ين
ــ ينَ	ــ اني	ــ يما	ــ ين	ــ ــ	ــ يا ــ ى
جمع المؤنث	جمع المؤنث	جمع المؤنث	جمع المؤنث	جمع المؤنث	جمع المؤنث
ــ اتُ	ــ اتو	ــ اتو	ــ اتُ	ــ وت	ــ ين
ــ اتِ	ــ اتي	ــ اتي	ــ اتِ	ــ	وــ تا ــ ى
التثنيــة	التثنيــة	التثنيــة	التثنيــة	التثنيــة	التثنيــة
ــ ان	اي ــ ان	ــ امي	اي ــ ان	قليله وهي	قليله وهي .
ــ ينَ	اي ــ ين	ــ يمي	اي ــ ين	ايَم	ــ ينَ

ويتبين من هذا الجدول :ـ

١ـ وجود الاعراب في اللغات العربية والاكدية والاوغاريتية . واختفاؤه في العبرية والارامية .

٢ـ ان (الميم) يحل محل النون في علامات الجمع والتثنية في اللغة الاوغاريتية والنون والميم حرفان انفيان يسهل استبدالهما ببعضهما وقد يكون هذا بسبب تأثير البيئة الجديدة التي حلت فيها اللهجة الاوغاريتية اي في بيئة اللغات العبرية والارامية التي كانت قد انفصلت في تاريخ اقدم عن العربية الام وتغير فيها هذا الضمير في وقت سابق .

الضمائر المنفصلة في لغات الجزيرة العربية ـ العربية

العربية الحديثة	الاكدية	الاوغاريتية	العربية القديمة المعينية	العبرية	الارامية
المتكلم	**المتكلم**	**المتكلم**	**المتكلم**	**المتكلم**	**المتكلم**
١ـ انا	اناكو	اناك . اني	انا	اني.اناكي	انو ـ انا
٢ـ نحن	انينو	ـ	نحنو	نحنو.انحنو	انحنان
المخاطب	**المخاطب**	**المخاطب**	**المخاطب**	**المخاطب**	**المخاطب**
١ـ انتَ	اتّا	اتّا	انت	اتا	ات ـ انت
٢ـ انت	أتي	اتي	انتي	اتي	انت
٣ـ انتما	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ
٤ـ انتم	اتونو	اتم	ـ	اتم	إتّن
٥ـ انتّن	اتنا	اتم	ـ	اتّن	أتّن

الغائب	الغائب	الغائب	الغائب	الغائب	الغائب
١– هو	شو	هو	شو	هو	هوْ
٢– هي	شي	هي	شي	هي	هىْ
٣– هما	—	هما	شمان	—	—
٤– هم	شونو	هم	شمو	هم	هِنونْ
٥– هن	شينا	—	شن	هن	هِننْ

١– يبدو من هذا الجدول ان العربية أكمل جميع اللغات العربية من حيث شمولها على جميع الضمائر من حيث الجنس والعدد .

٢– ان اقرب اللغات في هذا الامر هي الاوغاريتية القديمة وان كنا ما نزال نفتقر الى بعض الضمائر فيها لعدم عثورنا على مدونات تشتمل عليها ولكن القرائن تدل على انها كانت مشابهة للعربية في تلك الضمائر ايضاً .

٣– ان المعينية والاكدية متشابهتان في ضمائر الغائبين مما يؤكد انها تنتميان الى مرحلة تاريخية اقدم من جميع لغات الجزيرة العربية – العربية اي انهما اقرب صورة الى العربية الام . كما ان المعينية تشترك مع الاوغاريتية والعربية الحديثة في وجود ضمير للمثنى الغائب .

باكزة رفيق حلمي